المتربص

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

المتربص
كيرلس عاطف
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2019/26898
الترقيم الدولي: 978-977-6634-36-7
الطبعة الأولى: 2020

كيرلس عاطف

المتربص

روايـة

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء

ما زال ذات التردد وعين الحيرة تعتريني كلما فكرت في كتابة الإهداء

لا أريد أن أدون بروايتي أسماء أشخاص تجمع بيننا صداقة مؤقته لمصلحة متبادلة، أو لحبيب لم يحفظ وعده بالبقاء، أو زميل لا يظهر إلا ما هو متناقض مع نيته الحقيقية..

لكن كل هذا ينتهي في ذكراه. لم يكن بيننا أي مصالح بل كانت أبوة نقية لأبنائه الصغار مهما بلغوا من أعداد أو زادوا في الأعمار. قد رحل جسده بالفعل عن عالمنا لكن روحه الكامنة في سيرته العطرة وأعماله المخلَّدة لا زالت تطفو في دفء بيننا. دائمًا أحبنا قلبًا وقالبًا بلا ادعاء أو نفاق

إلى أسطورة (د/أحمد خالد توفيق)

ستظل محتلًا للصفحة الأولى من أعمالي الورقية إلى الأبد، وحتى تحترق النجوم، كرد ولو جزء بسيط من فضلك.

إليك أيها العراب..

تمهيد

حاولَتْ أن تعدو، تقفز، تنتفض، تفر بحياتها، لكنه كان لها بالمرصاد، فحاولت أن تصرخ، تستنجد، تبكي، تعوي، لكنه دس المنديل القماشي بفمها استعدادًا لهذه المراوغات.

كان محترفًا في عمله بطريقة تنم أنها ليست مرته الأولى في هذا الأمر.

ثم أن جسده الرياضي الرشيق الذي يتفوق على جسدها الأنثوي الهش، أعطاه الأفضلية في عمله بلا جد أو تعب.

هو لا يغتصبها. فهذه ليست بطقوسه على أي حالٍ، لكن مَن يعلم؟ قد تأتيه الرغبة في الأنحراف عن نمطه الآن، فهي ليست بالمقدسة، ثم أنه ليس بالمنمَّق لهذه الدرجة ليتمسك بنظامه الخاص بأي وقت وأي مكان. كما نضيف للاعتبار أن جسد هذه المرأة المرتجف، بجانب وجهها الذي ترتسم عليه كافة دلالات الفزع والهلع لن يثير رغبته الذكورية أبدًا.

- إنه أنتِ، كيف لم أتصور هذا؟.. إنه أنتِ أيتها الشمطاء.

صرخ بها الرجل وهو يتأكد من إحكام قيود المرأة في الكرسي بملائات الفراش، بينما هي تنتحب مترجية أن يتركه و عينيها تحملق جافلة بالسكين الثائر القابع بقبضته المرتجفة.

لقد قال هذه الكلمة لجميع ضحاياه السابقين، دائمًا ما يقولها بنفس

الحزم، ونفس روح التصديق تلك، لكن في كل مرة يكون اختياره خاطئًا، مكتشفًا هذا بعد فوات الأوان. هل سيصدق اختياره هذه المرة، أم تضاف بريئة أخرى لصندوق ضحاياه؟

- بعد أن قتلت أسرتي كاملة وجميع أقاربي، تكونين أنتِ السبب في كل هذا.. كيف أمسيتُ غبيًا لهذه الدرجة لعدم توقعي أنه أنتِ.

لم تكن كذلك مرته الأولى في هذه الكلمات بدورها، فالمشهد برمته ليس بالجديد في أنظار الرجل، لقد أقدم عليه عشرات المرات في السنة الأخيرة تلك. لم تستطع الشرطة الإيقاع به ولو لمرة، حيث كان حريصًا على إتمام جرائمه الكاملة كالثعلب، وثريًا لإهماد ثورة الشرطة في التحقيق عن أقاربه المختفين كالمصرف المتحرك.

ربما هو تعليمه ذو الرتبة العالية، أو قضاؤه الكثير من سنوات عمره في الخارج التي تشبع منها الكثير من الثقافات الأجنبية خاصة عن القتلى المتسلسلين على هيئة هواية عجيبة؛ هما اللذين أنمَا لديه هذا الحرص في جرائمه التي تصل لحد الإتمام!

هو يعلم بقرارة نفسه أن رغبة القتل خاصته نمت في رحم روحه بسبب مرضه السابق، فهذا المرض الذي جعله يقبل على اقتلاع إحدى مقلتي عينيه بنفسه حتى تم إرساله إلى لخارج للعلاج من قبل أسرته.. لكن يبدو أن حتى بعد عودته، لم يشفَ بالكامل من هذا الـ..

كانت المرأة تئن وتنتفض في ربطتها بالكرسي، فقام الرجل بضرب فخذها الأيسر بسكينه، سخطًا على مقاطعتها لأفكاره. لتصرخ المرأة بدورها صرخة مكتومة لم يسمعها أحد بفعل قطعة الملاءة الممزقة التي دسها الرجل بفمها،

لكن الصرخة قد سمعتها الأرواح التي زهقت على يده من قبل وجميع الشيطاين المعذبة بالجحيم.

- توقفي عن هذا الضجيج وإلا ما هنيتك بالنهاية الرحيمة.

حاولت المرأة أن تنظم أنفاسها لتهدأ، متحاملة على ألمها الذي يحرق ساقها وجسدها بأكمله، محاولة تجاهل الدماء السائلة من فخذها بعد هذه الطعنة المفاجأة. فعاود الرجل لتذكر أوائل ضحاياه التي كانت تتنوع بين أقرب أصدقائه وأفراد أسرته. تذكّر كيف كانت حالته تتدهور يومًا بعد يوم، وجرائمه تزداد إتقانًا بلا أدلة أو أي خيط توجه أصابع الاتهام ناحيته. تذكر أول مرة حاولت فيها الشرطة التحقيق في اختفاء ابنة أخيه، وكان سدُّ أنوفهم الفضولية برائحة الأموال، فعالًا للغاية. تذكر المرحلة الثانية من جرائمه التي شملت أشخاصًا عشوائيين؛ بعد اكتشاف أن أسرته ليست الفاعلة أو بعد تحويله غالبيتهم العظمى لجثث صريعة إن صح التعبير.

موظف لديه في إحدى الشركات، سائق إحدى عربات النقل التابعة له، بستاني بإحدى حدائق قصوره، فحتى ضحيته الجديدة تلك هي مجرد قاطنة بأحد العقارات التي يمتلكها، لا تربطه بها أي علاقة مباشرة غير هذا. اختيارات ليس لها أساس منطقي ولا دوي عليه بأي نوع من الإفادة في العثور على ضالته الغامضة، لكنه سيعثر على هذا الشخص يومًا ما. هذا الشخص الذي أرَّق عليه حياته وأطار النوم من عينه لفترة لا يُستهَان بها. سيجده حتى لو كلفه هذا كل ثروته وآلاف الضحايا على يده.. سيعثر عليه أو هكذا يزعم.

وصل لمسامع الاثنين صوت غلق باب الشقة بعد أن دلفها أحدهم، وتتبعه عبارة (لقد عدت للمنزل يا أمي)، نابعة من حنجرة رقيقة تعود لصبي صغير في

العاشرة تقريبًا من العمر. فانتفضت المرأة على الكرسي ناسية الألم محاولة الصراخ لتحذير الفتى بأن يهرب بحياته من هذا المكان الملعون، لكنَّ صوتها أضعف من أن يسمعه من يقف على عتبة باب الحجرة، فما بالك من بأول الشقة.

- أهذا ابنك؟

سألها الرجل للمرأة التي ظلت تنظر له في رعبٍ غير عالمة بأثر إجابتها عليه. أتجيبه بالإيجاب فيتركها ويرحل عندما يعلم أن لديها طفلاً صغيراً تريد أن تحيا لأجله؟ أم تناوله النفي كإجابة، فيتركه وشأنه ليصب تركيزه على ضحيته الماثلة أمامه؟ في كلتا الحالتين هي تتمنى أن يتركه في سلام ليقتلها هي شر قتل ويمثل بجثتها بعد أن يغتصبها أو يحرقها حية إن أراد،لكن بشرط أن يترك الصبي لحال سبيله.. فعندما يتم تخييرك بين حياتك وحياة فلذة كبدك، إذًا فلتذهب نفسك إلى الجحيم ما دام سينعم الصبي بحياته.

ظلت المرأة جافلة دون أي إيماءة من وجهها، فسئم الرجل من صمتها المستفز هذا، فطعنها في فخذها مرة أخرى. وكانت هذه المرة أكثر إيلامًا، فقد اقتحمت السكين جلد ساقها ممزقة كل ما تتعثر به في طريقها من أنسجة أو شعيرات دموية، فكتم الرجل فمها وهي تصرخ على عجلٍ. رغم ما يسد فمها، لكن صرخة الألم الممتزجة بالخوف على ابنها باتت أقوى مما تستطيع الملاءة امتصاصه. فقال في أذنها مبتسمًا وهو لا يزال يحكم زمام صرختها بكفه:

- يبدو أنني وجدت شريكك في فعلتك، وسيتقاسم معك العقاب.

ثم التقط سكينًا أخرى من التي أحضرها من المطبخ لهذه الحجرة للقيام بعمله الشيطاني، تاركًا الحجرة لضحيته الجديدة مخلفًا الأولى مغروسًا بساقها.

كانت المرأة تعلم الأصوات التي ستسمعها من خارج الحجرة بعد ثوان،

والتي لن تخلو من بعض الركض ثم القليل من الصراخ انتهائًا بصوت الطعن المميز بالسكين ويسبقه بالطبع صوت ارتطام بعض الأشياء، لكنها لن تسمح بهذا، إذا كان عقلها قد شل من الخوف عندما اقتحم هذا الرجل منزلها في سترة الليل، عليه الآن أن يعمل، فهي لا تسعي لإنقاذ نفسها فحسب، بل تهدف الآن لنجدة ابنها الصغير الذي عاد لتوه لمنزله بعد إنهائه لمباراة كرة قدم مع أقرانه من الصغار أملاً في وجبة خفيفة من يد والدته الحبيبة تمده ببعض الطاقة بعد ما بذله من لهوٍ، غير مدرك أن هنالك سفاحًا مجنونًا يمرح بين كنفات منزله.

تنبهت لصوت ركض في أرجاء صالة الشقة، فانتفضت المرأة من جديد تهز جسدها بعنف مرة أخرى، تحاول الصراخ للمرة المائة لكن دون جدوى تُذكَر، فالملاءة تُقيِّد ساعديها في مسندي الكرسي بإحكام.

أصغت لبعض الصرخات الطفولية ولهاث رجل بالغ، فراحت تحاول أن تنهض بالكرسي، لكنه ثقيل كالخوف على قلبها، ناهيك بالطبع عن السكين الذي لا يزال مستقرًا بساقها مقللًا من قدرتها على تحملها لوزنها وثقل الكرسي معًا. لكن مهلًا، ماذا عن السكين؟ يمكنها أن تصل إليه ببعض ال...! فبدأت تهز من جسدها وتمد قبضتها لتلتقطه أخيرًا بعد أن لمعت تلك الفكرة بذهنها لتستحوذ على تفكيرها.

رصدت بأذنها المتعرقة صوت ارتطام بعض الأشياء أو الأجساد، في حين أن تركيزها مصوبًا على تلك الدماء السائلة من جرحها بعد أن تم إزالة العائق الوحيد الذي كان يمنعها من السريان لخارج جسدها، ملطخًا ثوبها والكرسي، لكن لا يهم الألم، فظلت تحك السكين بقطعة القماش التي تقيد نفس اليد. جرحت ساعدها عدة مرات ليختلط بدماء ساقها، لكن لا يهم النزيف.

استطاعت أخيرًا تحرير أحد رسغيها، لكن فرحتها بُترت سريعًا بصوت توسُّل طفولي نابع من الخارج؛ فسقط السكين من قبضتها أرضًا، كرد فعلٍ طبيعي من تفاعُل قلبها المرتجف مع تلك الأصوات.

ليس هذا بالوقت المناسب للسخف أو الارتعاش حتى الموت، فالتقطت السكين الملطخ بدمائها من جديد وعادت تمزق العقد أكثر يسرًا وسرعَةً هذه المرة، حتى تحررت أخيرًا من كل تلك القيود البغيضة وها هي تهرول للباب، مع الحرص أنه لا يجب عليها التعثر أو فقدان أعصابها الآن، فما يهم هو ابنها الصغير.

فكادت أن تفتح باب الحجرة حتى صدمها صوت الطعن المقيت أولاً. ركضت من الغرفة سريعًا آملة أن تكون أذنها قد خانتها أو ستتمثل نجدة الصبي في خروجها لإنقاذه، لكنها رأت المشهد الحقيقي الذي تخيلته من البداية الكامن في جثة الصبي خائرة القوى على الأرض بعد أن خبا عن عينه بريق الحياة وهذا المجنون يجثو فوق جسده الصغير، طاعنًا جثته الهامدة بلا كلل أو سأم.

لن تصرخ، لن تسقط، لن تولول، لن تنفجر باكية، عليها أن تكون عملية أكثر من هذا فلا يزال الخطر قائمًا.. لكن ما فائدة التماسك وقد قتل ابنها؟ فلا شيء يحثها على المقاومة الآن. ورغم هذا عليها أن تنجو هذه الليلة. تعلم أنها لن تستطيع التغلب على هذا الرجل بمفردها، لهذا عليها أن تنجو لتجلب المساعدة.. لتجلب الثأر لابنها لاحقًا.

لا تعلم إن كانت هذه عملية زائدة عن الحد الطبيعي أم أنانية تفوق الوصف، لكنَّ لمقتل الابن أمام أمه تأثيرًا عظيمًا على نفسية الأم لا يمكن

توقعها. تلك المرأة -إن نَجَت الآن- لن تحيا بقية عمرها بشكل طبيعي بعد هذا المشهد وهذه الخسارة.

انتبه الرجل للمرأة التي استطاعت أن تتحرر من قيوده، فوثب ليركض نحوها وشياطين الموت تتراقص أمام عينه متعطشة لدمائها، شاهرًا سلاحه في ثورة الثيران بالحلبات المكسيكية، لكن المرأة انحنت لتباغته بطعنها للسكين خاصتها في منطقة ركبته، ليجثو الرجل أرضًا على ركبته الأخرى وهو يئن لأول مرة في حياته وفي تاريخه الحافل بالجثث والضحايا.

هي لا تعلم كيف واتتها هذه القوى،كما هو لا يعلم لمَ هذه المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تقاومه هكذا. لكن مشهد الصبي الصغير الذي انفجرت الدماء الحمراء القانية إثر عدة طعنات بجسده، أجبرته على الركود في بركة متحركة من تلك الدماء وعيناه توحيان بأن روحه قد سلبت منه غصبًا.. تفسر هذا التطور الرهيب بالأدوار.

قد حالفها الحظ واستطاع الأدرينالين أن يعطيها بعض القوى، لكنها لا تزال الجانب الأضعف في المواجهة، فلن تخاطر بسحب السكين من ركبته أو التقاط شيء ما لتهوي به على رأسه. فهذا الثور سيعاوده احمرار عينيه سريعًا.. لذا وجب عليها الهرب، فدفعته براحة يديها الواهنة لتكسب بعض الوقت، وانطلقت من باب الشقة تعدو، تهرول، تعرج. أيًّا كان اللفظ أو المصطلح السليم فهي تكافح للنجاة بحياتها. خرجت من الشقة والعمارة بأسرها، راكضةً للمجهول لتطلب منه العون، وهناك خط من الدماء يتبعها في عزم.

تشعر بالدوار، تترنح، تقاوم السقوط. لقد فقدت الكثير من الدماء، ولن يتحمل جسدها المزيد.. أهذه هي النهاية؟

هناك شيء تقبض عليه في راحة يدها لا تعرف ماهيته ولا تدري كيف وصل إليها من الأساس. هل تشبثت بشيء من الرجل حين دفعته بشقتها؟ لا تهتم لأصله ولن تنتظر لتعرف، فعليها توحيد طاقتها على أمر واحد: الهرب.

تناولت درجات السلم وثبًا كفتاة في العاشرة، تهرول بالشوارع ثم تتعثر لتختلط دماؤها بأتربة الشوارع فتزيدها حرقة على ألمها. هل تهرب من قاتل مجنون لتلقى مصرعها على الطريق؟ ألهذه الدرجة يشعر الموت بالنشوى، ويأبى الرضا بما حصده اليوم؟.. لا لن يحدث أيٌّ من هذا. يجب أن تقاوم، أن تتحامل على نفسها رامية كل أوجاعها خلف ظهرها.. فالثأر هو الأهم الآن.

***

(1)

مجأع٤ل +ظفج+ين

6/2/2005

الأقصر

الثانية عشرة صباحًا

يدلف رجلٌ على مشارف الثلاثين من العمر من الباب الرئيسي للمبنى جارًا خلفه حقائب جلدية وقماشية ضخمة مكدَّسة بالملابس ومختلف الحاجيات المخفية بين طياتها، تنم أنه كان مسافرًا لرحلة طويلة. كان وسيمًا نوعًا، يرتدي نظارة شمسية توحي لك بتيسُّر حالته الاقتصادية أو ربما أكثر بجانب تلك المشية مفرودة الظهر التي تعطيك انطباعًا بأهميته، أصابع يده خالية من الخواتم لتدل على عدم خطبته أو زواجه، ولا يوجد أثر محفور لدبلة بأي إصبع له لتدل على أنه ليس مطلقًا كذلك، يرتدي ملابس السفر الخفيفة المتناسبة مع صهد الأقصر الدائم، لكنه لا يخل عن مشهده الموحي بالوقار، ناهيك بالطبع عن بشرته شبة البيضاء بالنسبة لسكان تلك المنطقة لتؤكد أنه سائح وليس بالمقيم بتلك المدينة.

رأى رجلًا يوازيه في العمر، ذو بشرة قريبة للسمرة تدل أنه من السكان الأصليين لتلك المدينة العريقة، يقبل عليه فاتحًا ذراعيه على امتدادهما كمقدمة لعناق حار، ليماثله الرجل الأول في فعلته بعدما ترك حقائبه لتسقط أغلبيتها بعنف لتعانق الأرض بدويٍّ.

تعانق الرجلان في ضمام أخوي محمَّل بكل الحنين للصديق الذي غاب طويلًا، وكل الذكريات المشحونة بالمغامرات المرحة، تتدفق لعقليهما في آنٍ واحدٍ. فصرح الرجل الثاني بعدما أنهيا العناق، عن مدى شوقه لصاحبه، ليبادله هذا الأخير عبارات الحنين محملًا بالعتاب بينهما لاختفائه عن الأنظار لمدة سبع سنوات عقب انتهاء الجامعة دون السفر للقاهرة ولو لمرة واحدة لزيارة أصدقائه. فردَّ الرجل الثاني مازحًا:

- أنت من يجب أن تزورني بالأقصر يا (آدم) فقد مكثت بالقاهرة أربعة أعوام الكلية كاملة، حتى سئمت القاهرة نفسها من طلتي.

- لكن أهلها لم يفعلوا بعد يا (أسامة)، ثم تمكث بها أربعة أعوام لتهجرها لسبع؟

بعد الكثير من عبارات الترحيب والمزاح تلك، تذكروا أنهما لا يزالان على باب المبنى ولم يترجلا به بَعدُ؛ فقد أخذتهم الحالة الودية المتحابة بين الأصدقاء من المزاح والعتاب، فساعد (أسامة) صاحبه في لملمة حاجياته من الأرض متقدمين لأحد المقاعد بالداخل ليستمرا في الثرثرة غير شاعرين بالوقت. فبعام واحدٌ تشتعل به من الأحداث ما يكفي لملء كتب التاريخ بصفحات لا حصر لها، فما بالك إذًا بسبعة أعوام كاملة، هناك الكثير مما بجعبتهما لم يفصحا عنه.